بسم الله الرحمن الرحيم



شبكة الأحـواز للانترنت
www.Al-Ahwaz.com

تقدم كتاب

عربستان اندلس الخليـج

*

تأليف
قدري قلعجي

**

اصدار
دار الكاتب العربي

***

ارسل الكتاب الأخ المناضل عادل السويدي
أحد المناضلين الأحوازيين في المنفى

قدري قلعجي

الخليج العربي

دار الكاتب العربي

عربستان أندلس الخليج

عربستان واسكندرون مشكلتان متشابهتان

لقد تمخضت الأحداث السياسية التي مرت على مسرح الخليج عن أكثر من مشكلة قومية كان للتغلغل الاستعماري في الشرقين الادنى والاوسط اليد الطولى في خلقها تبعاً لمصالحه الاقتصادية واغراضه العسكرية ، فأدت النتائج الموضوعية إلى تجزئة العالم العربي ، وتقسيمه إلى مناطق نفوذ ، جرت المداومات السياسية حولها، فكانت هناك عربستان التي ابتلعتها الهرة الايرانية ، واسكندرون التي ازدردها الوحش المغولي، واخيراً فلسطين الجرح الذي ما زال ينزف في جنب الوطن العربي بسائر كياناته السياسية .

وعربستان واسكندرون مشكلتان متشابهتان كل التشابه ، متماثلتان غاية التماثل ، وما دمنا نعيش اجواء الخليج فالضرورة القومية تفرض علينا أن نفرد لها هذا البحث .

وقبل أن نمضي في دراستنا التاريخية لعربستان، ومشكلتها السياسية، نرى لزاماً علينا أن نلم بلمحة موجزة عن جغرافية تلك البلاد ، لتكون لدى القارىء فكرة عن مواقع ذلك الاقليم الستراتيجي واهميته الاقتصادية التي تجلت في القرن التاسع عشر نتيجة التنافس الاستعماري على الخليج .

تقع عربستان في الشمال الشرقي للخليج العربي وتمتد شمالاً حتى جبال رومستان،

ويحدها من الشرق مجموعة سلاسل جبال كردستان التي تشكل حدوداً طبيعية فاصلة عن ايران، وتمتد صوب الغرب حتى شرقي شط العرب، أي جنوبي شرقي العراق بلواءيه البصرة والعمارة،وتبلغ مساحتها ما يقارب تسعة وثلاثين الف ميل مربع[1].

وعربستان بلاد خصبة لطبيعة تكوين اراضيها، باعتبارها سهولاً رسوبية طموية شاسعة ، غنية بواردها المائية ، بر فيها كل من نهري قارون والكرخة، وعديد من روافد هذين النهرين وروافد شط العرب ، وهي إلى جانب ذلك غنية بحقول البترول ، وتعتبر « أهم منطقة زراعية في ايران، وكانت بنظر الرأسماليين الاوربيين منطقة خصبة للاستغلال التجاري والصناعي [2] » .

وعرفت عربستان تاريخياً باسم «أهواز العراق» ، وقد مر معنا ، في فصل الفتوحات الاسلامية الكبرى، كيف كان هذا القطر العربي موضع نظر أول خليفة للرسول ، وكيف كان منذ الصدمة الاولى اقليماً اسلامياً دال على أصيل عروبته بأن أسهم ابناؤه البواسل في الفتوحات العربية الكبرى ، ركبوا متون البحر ، وتوغلوا في البر الايراني، حتى ركزت راية العروبة ليس في اقصى نقطة من ايران فحسب، وانما اندفعت إلى تخوم الصين ، وتوغلت في رحاب الهند ، وظل وسيبقى عربياً اسلامياً كما كان،وقد خضع شأن سائر الأقاليم الاسلامية، لأثر انحلال الامبراطورية العربية الاسلامية ، ونشوء الدول العربية المستقلة ، فكان في بعض الأحيان يخضع للدول المتتابعة ، أو يستقل اداريا بحكم ذاتي كما سبق ووقفنا عليه في تسلسله التاريخي .

عربستان المستقلة تقاوم حملات العدوان

وفي العصور المتأخرة ، بينما كانت البلاد الايرانية تتخبط في دوامة الانقسامات وقيام عديد من الدول التي هي أشبه بالشرارات ما تكاد تضيء حتى تنطفىء،متنافرة

---

١ ـ تاريخ الكويت السياسي تأليف حسين خلف الشيخ خزعل جزء ٢ ص ٨٦ .
٢ ـ الخليج والعلاقات الدولية ص (٥٩) .

متناحرة ، كل ولاية دولة مستقلة استقلالاً ذاتياً عن العاصمة الايرانية ، شهد اقليم عربستان في منتصف القرن الثامن عشر عقب وفاة نادر شاه ، مقدم قبائل عربية استوطنت إلى جانب القبائل العربية الأخرى ، وبسطت نفوذها على قسم كبير من أراضي ايران الجنوبية الغربية ، واتخذت من مدينة الفلاحية مركزاً لها ، وكان على رأس ذلك المد القبلي بنو كعب الذين أجلوا عنه الجيوب الايرانية الفارسية ، وأنشأوا اسطولاً قوياً دعموا به استقلال امارتهم الناشئة .

وظل بنو كعب الأشاوس محافظين على استقلال امارتهم التي تحطمت على متماسك صخرتها سائر الهجمات الايرانية ، وارتدت عنها مقهورة مخذولة ، فعمدت السلطات الايرانية ،وقد كلت أنيابها وتحطمت براثنها ، إلى جميع الوسائل لإضعاف روح المقاومة العربية ، حتى انها عمدت إلى هدم السدود وسد مجاري الأنهار [1] ، فلم يجدها ذلك فتيلاً ، وظلت جيوش بني كعب قوية غلابة ، تعرف كيف تروض الجيوش الايرانية على التماس سبل الفرار لتضرب في أعقابها كلما فكر شاه ايراني بخضد شوكة الامارة العربية .

وبدأت أهمية عربستان تظهر دولياً بشكل مرموق حين تم تشييد مدينة المحمرة عام ١٨١٢م (١٢٢٧هـ) في فترة حكم الشيخ حاج يوسف مرداو من عشيرة بني كساب احدى أفخاذ بني كعب ، فعمدت القبائل العربية إلى تشكيل اتحاد فيما بينها [2] ، وبخاصة الكعبيين والقبائل القديمة الجذور في استيطان عربستان ، وقد جمعتها وحدة الهدف والروابط الحياتية المتشابهة .

ولقد استطاع الكعبيون طول حكمهم اقليم عربستان ، الثبات أمام النكبات التي اعترضتهم بجرأة وبسالة ، لا جنة لهم إلا ظبى سيوفهم ، ووقفوا كالطود الثابت أمام ثلاث قوى ائتلفت ضدهم في حملات اشترك بها كل من الايرانيين والعثمانيين والأسطول البريطاني في الخليج العربي في معركة حامية الوطيس وقف بها عرب عمان إلى جانب اخوانهم بني كعب .

---

١ - تاريخ الكويت السياسي ج٣ ص ٩٥

٢ - عمان قديما وحديثا ص ١٧٨

الشاه يعترف باستقلال الامارة العربية

وفي عهد الحاج جابر شهدت عربستان تطوراً عظيماً ، إذ مصّر مدينة المحمرة التي ازدهت وازدهرت بشكل أخذ يثير أطماع كل من الايرانيين والعثمانيين على السواء ، فحاولوا بشتى الطرق التطويح باستقلال هذه الامارة الفتية المتطورة. وقد قامت القوات العثمانية عام ١٨٣٧ (١٢٥٣ هـ) بتجريد حملة عسكرية على عربستان فأنزلت بالامارة خسائر فادحة رغم الصمود الباسل الذي تحلت به جيوش الامارة ، مما أثار الذعر في قلوب الايرانيين خوف تطويقهم بالقوات العثمانية من الغرب والجنوب معاً ، فبادرت بالاحتجاج وطالبت – يؤيدها الحاج جابر – بالتعويض عن الخسائر التي ألحقها الجيش التركي بالامارة العربية ، فكانت النتيجة ان اجتمع أطراف النزاع بالاشتراك مع ممثلين عن الحكومتين الروسية والبريطانية ، وتمخضت المفاوضات التي استمرت ثلاث سنوات عن عقد معاهدة ارضروم ١٨٤٧ (١٢٦٤ هـ) و « خصت فيها المحمرة وعبادان وبعض المناطق الأخرى بالدولة الايرانية ، وألحقت مدينة السليمانية وتوابعها بالدولة العثمانية [1] » .

وبذا تكون الدولتان الكبيرتان قد قسمتا عربستان إلى منطقتي نفوذ ، وكانت الدولة العثمانية تدعي ان الامارة تابعة لاقليم البصرة ، رداً على ادعاء ايران بأنها جزء من أراضيها .

وفي تلك الفترة قامت نزاعات داخلية محلية بين القبائل العربية ، وسعى كل شيخ من مشائخها إلى الاستقلال بمنطقته ، مما ساعد الحاج جابر على كسر شوكتهم جميعاً ، ومدّ رواق سيطرته من المحمرة على معظم أراضي عربستان ، وفي هذه الأثناء بالذات تحركت بريطانية تبغي السيطرة على هذا الاقليم الحساس استراتيجياً ، مما حدا بالشاه الايراني – وقد تعرضت بلاده وعربستان معاً لاعتداء بريطانية عام ١٨٥٧ (١٢٧٤ هـ) – إلى الاعتراف باستقلال الامارة العربية ، وتعهدت كل من فارس والامارة أن تقفا صفاً واحداً ضد كل اعتداء أجنبي .

---

١ – تاريخ الكويت السياسي ج٣ ص ٩٦


ايران
١٥٩٦٠٠
السكان ٢،٥٠٠،٠٠٠
العاصمة الاحواز
الاحواز
اقليم عربستان
الخليج العربي

وبلغت عربستان أوج عظمتها في فترة حكم الشيخ خزعل ابن الحاج جابر الذي ارتقى سدة الحكم عام ١٨٩٧ (١٣١٥ هـ) ، إذ تمكن من بسط سيطرته على كافة اقليم عربستان ، فكانت قوته العسكرية تفوق قوى الدولة الايرانية ... وقد اندفعت بريطانية في خضم سياستها الاستعمارية للتقرب من الشيخ خزعل الذي رأت فيه حليفاً ، كما توسم هو في بريطانية نصيراً له ، وبخاصة عندما طرح على بساط البحث مشروع فتح نهر قارون للملاحة البريطانية ، لأن هذا النهر يمر في قسم كبير من اراضي عربستان ، كما وضعت المخططات الاقتصادية لاستغلال ثروات هذا الأقليم .

وظهرت أهمية هذه الإمارة بشكل خاص في نهاية القرن التاسع عشر من حيث الستراتيجية العسكرية، ورأى العسكريون البريطانيون أن يسيطروا عليها رداً على مطامع روسيا القيصرية ومحاولة مد نفوذها إلى منطقة الخليج العربي ، وبمعنى آخر القضاء على التجارة البريطانية في الخليج والمحيط الهندي ، وكانت تصريحات اللورد كيرزون تؤكد هذه الحقيقة ، وقد أشار في احدى مذكراته التي بعث بهـا إلى نائب الملك في الهند عام ١٨٩٦ (١٣١٤ هـ) « إلى احتمال قيام روسية بالسيطرة على شمال ايران ، ثم تقدمها إلى الجنوب صوب الخليج العربي فقال: ان أي هجوم عسكري روسي من هذا النوع يجب أن يتبعه هجوم بريطاني على عربستان ، وذلك لاغلاق أي طريق يوصل الروس إلى المحيط الهندي والخليج العربي[1] » .

وانطلاقاً من هذا المسار سارع البريطانيون لتوطيد علاقاتهم بالشيخ خزعل ، بغية جره إلى جانبهم في أي نزاع انكليزي روسي مرتقب يمتد إلى جنوبي ايران .
وكان الشيخ خزعل يقف أبداً على اهبة الاستعداد لمجابهة أية حملة عسكرية قد ترسلها طهران ، في محاولة لبسط سيطرتها على اقليم عربستان ، عاملاً جهده لتوطيد

---

١ ـ الخليج العربي والعلاقات الدولية ص ٦٩

استقلاله ، حتى انه رغم اواصر الود القائمة مـا بينه وبين بريطانية عمل على احبـاط مشروع نهر قارون الذي اقرته ايران .

ولما غدت ايران واقعة كليا تحت السيطرة الاستعمارية: البريطانيون في الجنوب والروس في الشمال ، وأخذت كل دولة تستعد لمد سيطرتهـا على أوسع رقعة ممكنة من أملاك الشاه التي غدت مسرحاً للتنافس العسكري والاقتصادي معاً ، ممـا نجم عنه قيام الثورات الوطنية،والمطالبة بوضع حد للتدخل الاستعماري في شؤون ايران الداخلية ، رأى الشيخ خزعل أن يفصم كافة ارتباطاته بالحكومة الايرانية واعلان استقلال بلاده استقلالاً تاماً ، ولو دفعه ذلك لمجابهة ايران ومحاربتها ، ودعامته في ذلك قوته العسكرية وسفنه الحربية ، « وكان على استعداد لأن يدفع بـ ٤٠/٠٠٠ جندي إلى الميدان،وكان هذا الجيش مسلحاً تسليحاً حديثـاً يفوق تسليح الجيش الايراني ، كما يفوقه من ناحية العدد ، وكان الشيخ خزعل يتجاهل حكومة الشاه تجاهلاً تاماً في السياسة العليا ، ويرجع اليها في الامور الثانوية فقط[١] » .

ومما يسترعي الانتباه كذلك ان قبـائل البختيارية القوية كان يربطها بالشيخ خزعل امتن أواصر التعاون ، كما امتد نفوذه على غيرها من العشائر الايرانية .

بريطانية تعترف باستقلال عربستان

واستهدفت بريطانية فيما استهدفته تجنب وقوع أي اشتباك مسلح ما بين الشيخ خزعل والدولة الايرانية لما سيترتب على ذلك من نتائج خطيرة قد تسنح معها الفرصة لتدخل العثمانيين من جهة ، وتدخل القبائل العربية في العراق وشبه الجزيرة من جهة ثانية ، باعتبار أن تلك القبائل مرتبطة والشيخ بالتحالف القبلي الذي يؤكد تساند القبائل وتآزرهـا بكل ملمة تصيب اية قبيلة . ثم رأت بريطانية في عـام ١٩٠٢ (١٣٢٠ هـ) أن من الأفضل لهـا الاعتراف ضمنياً باستقلال الامـارة حين ظهرت في أفق السياسة الاقتصادية بوادر مشاريع روسية لمد سكك حديدية في ايران تنتهي

١ ـ المرجع السابق ص ٧١

بعربستان ، فضلاً عن مطامع روسية باستغلال بترول الامارة العربية، وبخاصة بعد موافقة الشاه على مشاريع سادة الكرملين .

واكدت بريطانية عزمها هذا بأن عقدت في عام ١٩٠٥ (١٣٢٣ هـ)معاهدة مع الشيخ خزعل ، بعد أن وضعت يدها على آبار البترول في عربستان ، وقد نصت تلك المعاهدة على تقديم المساعدة العسكرية له في حالة وقوع أي اعتداء على امارته كما وعدته بحفظ كيان الامارة .

وفي عام ١٩١٤ (١٣٣٣ هـ) اعترفت بريطانية رسمياً باستقلال عربستان ، وقدم الكولونيل كوكس وثيقة الاعتراف للشيخ خزعل ، وهي تؤكد من جديد عزم بريطانية على صون استقلال الامارة ، وتقديم المساعدة العسكرية في حالة قيام ايران بأي خطوة تهدد الكيان العربستاني.

المؤامرة الايرانية البريطانية على عربستان

إلا أن بريطانية أخذت توجس بعد الحرب العالمية الاولى خيفة من النفوذ الشيوعي الذي أخذ يتسلل إلى شمالي ايران ، ورأت أن من مصلحتها أن تنقلب على صديقها الشيخ خزعل لتقف إلى جانب رضا خان ، وزير الدفاع الايراني ، فرئيس الوزراء ، فالشاه بعدئذ ، لأنه يمثل الاتجاه القومي الفارسي الذي وقف في وجه المد الشيوعي،وقد غدا رجل فارس القوي الذي آلى على نفسه بعث امجاد الأكاسرة.

ووصل إلى عربستان جيش ايراني على رأسه الجنرال فضل الله تحت ستار مفاوضة الشيخ خزعل، في الوقت الذي قطعت بريطانية على الشيخ سبل المواصلات ما بينه وبين العشائر العربية في العراق ، كما ثبطت قبيلة البختياري عن الأخذ بناصره، وأنذر المقيم السياسي البريطاني بوسيلورين الشيخ خزعل بسحب جميع التعهدات المقطوعة له إن قام بأية حركة ، وهكذا تم حبك المؤامرة من جميع اطرافها ، وحُمل الشيخ العجوز الذي قعدت بـه السن عن امتشاق الحسام إلى طهران عام ١٩٢٥ (١٣٤٤ هـ) حيث لاقى حتفه فيها عام ١٩٣٦ (١٣٥٥ هـ) .

وبعد أن تمت تلك المؤامرة الايرانية البريطانية ، اطلقت حكومة ايران على

عربستان اسم خوزستان لتمارس في منطقة العروبة أشد ضروب التجهيل والافقار ومحاربة اللغة العربية ومحاولة اذابة العرب عن طريق التزاوج بالايرانيات ، وجلب جالية ايرانيـة كبيرة لتجاور العرب في اراضيهم ، بعد نقل عشائر عربية بكاملها إلى شمالي ايران ، في سياسة لا تختلف بشيء عن سياسة التتريك التي مارستها جمعية الاتحـــاد والترقي تجاه العرب في اخريات أيام الامبراطورية العثمانية ، ولم يقف العرب تجاه كل ذلك مكتوفي الأيدي وانما هم ينتفضون ويثورون ، الانتفاضة بعد الانتفاضة ، والثورة أثر الثورة ، وما زال الجمر تحت الرماد .